مقاومة الشيخ بوعمامة

أولا : نبذة عن حياة الشيخ بوعمامة

اسمه محمد بن العربي من مواليد 1840 ميلادي ،ولد بقصر الحمام الفوقاني وهي قرى تابعة اسميا للمغرب الاقصى، كانت بدايته في المغرب كون القبيلة الحقتها معاهدة لالة مغنية بين فرنسا والمغرب سنة 1845 ميلادي بالسلطة المغربية، انتقل الى المقرارة بالجزائر التي أسس بها زاوية بعدما أعجب به أهل المنطقة فبقي هناك إلى سنة 1894.

هذه الزاوية التي أسسها بوعمامة سنة 1875 أسسها من أجل تأليف القلوب وجمع الشمل بين القبائل التي كانت متناحرة مع بعضها البعض، خاصة بعد قضاء فرنسا على مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى، فاستغلت فرنسا الوضع من أجل فرض وجودها في ظل هذا التناحر بين القبائل التي كانت في السابق تحت راية واحدة، فمجيئ الشيخ بوعمامة ومرآه من تناحر وخلافات، جعله يوظف كل ما لديه من أجل توحيد هذه القبائل فكان دوره فعالا و تأثيره قويا، خاصة لما عرف عنه من سداد في الرأي ونباهة وحنكة في التسيير والقيادة وهذه الصفات جعلته يعرف فيما بعد بالأمير عبد القادر الثاني ،ولعل سياسته مع القبائل المتناحرة آتت اكلها بسرعة خاصة مع أهالي القصور و قبائل حميان والاحرار والرزانة وذوي منيع وأولاد جرير وغيرهم.

وقد عرف الشيخ بوعمامة بحماسته وتدينه كما كان من أشد المتأثرين بأفكار جمال الدين الأفغاني، وكذا حركة السلطان عبد الحميد الثاني، وخاصة أن دعوتهما تسعى إلى جمع شتات المسلمين في إطار الخلافة الإسلامية، كما شجعت الطريقة السنوسية الشيخ بوعمامة في دعوته وثورته، فلم تستهويه المناصب وسواء اتصل بالشيخ السنوسي أو لم يتصل فانه اتخذه قدوة في نشر الدعوة الاسلامية ومحاربة التنصير .وفي بداية القرن العشرين لجأ الشيخ بوعمامة إلى المغرب واشتغل بمشاكل المغرب الداخلية الى ان استقر بمدينة وجدة بعين سيدي ملوك حيث وافته المنية في أكتوبر 1908.

ثانيا: الاستراتيجية العسكرية لشيخ بوعمامة

ومن الدوافع التي ادت الى قيام مقاومه الشيخ بوعمامه مبالغة السلطات الفرنسية في زرع الفتن والخلافات والشقاقات بين افراد اسرة اولاد سيدي الشيخ، ويمكن الاشارة الى أن هذه السياسة انما مردها الى خوف فرنسا من قيام ثورة اخرى تكون بمثابة الاستمرارية لمقاومة اولاد سيدي الشيخ الاولى، كما ان المضايقات التي قامت بها فرنسا على السكان مما جعلهم عرضة للفقر والعوز وكثرة المجاعات مما

ادى الى معاناتهم خاصة مع ازدياد اهانتهم من طرف السلطات الفرنسية، ولعل تدمر قبائل افلو وقبائل البيض تعد نموذجا حيا لسياسة التسلط الاداري والاقتصادي، و بالتالي رآى بأن لا خلاص من هذه السياسة سوى الوحدة والاتحاد واعلان الجهاد ضد القوات الفرنسية ولقد كان للظروف التي تعيشها الحدود الشرقية مع تونس والتي كانت تتمركز فيها القوات الفرنسية من أجل فرض الحماية على تونس عاملا هاما مساعدا للشيخ بوعمامة من اجل استغلال الفرصة لاعلان الجهاد في الجهة الغربية للبلاد ضد القوات الفرنسية المشتتة في تلك الفتره وقد مرت مقاومة الشيخ بوعمامة بمرحلتين:

المرحلة الاولى :بين سنتي 1883/1881 و تسمى بالمرحلة العسكرية حقق فيها عدة انتصارات على القوات الفرنسية وجيوش القبائل والاعراش المدعمة لفرنسا مثل معركة 27 ابريل 1881، وكذا هجوم 16 ابريل 1882، والتي تكبدت فيها فرنسا ومن ساندها من العروش والقبائل خسائر كبيرة.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة السياسية : والتي كانت ما بين 1883/ 1908 شهدت هذه المرحلة نوعا من الاستقرار والهدوء حيث استقر فيها الشيخ بوعمامة في منطقة الحمام الفوقاني المغربية، وهي مسقط رأسه محاولا تنظيم صفوفه هناك، إلا أن الجانب الفرنسي لم يرتح لمكوثه هناك وطالب السلطات المغربية بطرد الشيخ من اراضيها باعتباره يشكل تهديدا لمصالح فرنسا بالمنطقة، وفي ظل هذه الظروف انتقل الشيخ بوعمامة إلى منطقة دلدول والتجأ إليها وعمل فيها على نشر الطريقة الشيخية وتنظيم حلقات ودروسا دينية ليكسب مناصرين جدد ينضمون إلى مساره الجهادي.وتوفي الشيخ بوعمامة في 7 أكتوبر 1908 م بعدما قضى حوالي عشرين سنة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وتعتبر هذه المقاومة من أطول المقاومات التي عرفها التاريخ الجزائري .

مقاومات شعبية أخرى

مقاومة لالة فاطمة نسومر:

ولدت فاطمة نسومر بقرية ورجة تعرف اليوم باسم بأبي يوسف وعين الحمام سابقا في الشمال الشرقي للجزائر في منطقة القبائل حوالي سنة 1246 هجري الموافق 1830 وهي بنت (سيدي أحمد محمد) وينتهي نسبها إلى جدها الأول (سيدي أحمد أومزيان) الذي كان مقدمًا للطريقة الرحمانية وله مزار ما زال قائمًا إلى اليوم يعرف بسيدي حندا وقمزيان بقرية ورجة، أما أمها فهي (ثركية آيت بوخلاف) من قرية عسكر دائرة إيفرحونن.

كانت نشأة فاطمة الدينية والاجتماعية على الطريقة الرحمانية. وكباقي نساء بلاد القبايل، فقد تميزت بالجمال الفائق. ورغم عدم تعلمها في المدرسة لاقتصار التعليم آنذاك على الذكور دون الإناث حسب

الأعراف، فإنّها تمكنت من حفظ القرآن بالإضافة للمحافظة على الصلاة. وكانت لديها الحكمة وبُعد النظر والزهد في صغائر الأمور، مما مكّنها من القوة ورفض الاضطهاد، فأصبحت لا تقبل بالتعسف، خاصة في حق النساء، أيمانًا منها بأنّ الإسلام كرّمهن.

بدأت فاطمة نسومر رسم مسارها المستقبلي ورفضت أن تكون مجرد مساعدة للرجال في معاركهم من الصفوف الخلفية بل صنعت لنفسها وضعا متميزا .

وأطلق عليها المستعمر الفرنسي اسم جان دارك جرجرة مشبها إياها بالبطلة القومية الفرنسية جان دارك لكنها رفضت اللقب مفضلة لقب " خولة جرجرة " نسبة إلى خولة بنت الأزور المجاهدة المسلمة التي كانت تحارب بجانب خالد بن الوليد.

أعلنت الحرب ضد فرنسا وهي بعمر العشرين سنة وذلك سنة 1850 ،حيث انضمت في مقاومتها الى الشيخ بوبغلة حيث شاركت معه في عدة معارك ضد فرنسا، وقعت في الاسر سنة 1857وسجنت بمدينة المدية لمدة سبع سنوات ،حيث انتابها مرض اثناء سجنها اصابها بشلل في ذراعها ثم انتقل الى كامل جسمها ،وقد وافتها المنية سنة 1863.

مقاومة الزعاطشة:

تظافرت جملة من العوامل لاشعال فتيل هذه الثورة، كانت ابرزها عجرفت وتصرفات الملازم **سيروكا seroka** ، فقد لاحظت السلطات الفرنسية نشاطا متزايدا للشيخ بوزيان الذي استدعى رؤساء القبائل والاعراش، فتوافدت عليه الوفود من كل جهة لتدارس الاوضاع ولتهيئة الشروط الضرورية للثورة، كجمع الاموال وشراء السلاح وتخزين المعونة، فقد استطاع الشيخ بوزيان أن يقنع الجميع ويوحدهم تحت رايه الدين الحنيف والجهاد المقدس ،لكن الوالي العام ضابط المكاتب العربية أمر بأن يقبضوا على الثائرين الرافدين للاحتلال الفرنسي، لذلك قام الملازم سيروكا نائب قائد الكاتب العربي ببسكرة بالتحرك نحو الزعاطشة والقبض على الشيخ بوزيان ،وفي بسكرة قدم الملازم سيروكا تقريرا مفصلا الى القيادة العليا اخبرها فيها بأن جميع السكان في واحة الزيبان مستعدون ويناصرون الثائر بوزيان، و ان الجهاد قد أعلن في المساجد والقرى.

لقد سارع النقيب لاقرونيه **lagrenee** باعطاء أوامر للشيخ العرب بوعزيز بنقانة بأن يجمع قواته ويحاصر بهم وحات الزعاطشة وفرفار و ليشانة و يعزلهم عن باقي القرى و يمنع عنهم المدد ، وقد وصلت القوات الفرنسية إلى الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849 تحت قيادة العقيد كاربوشيا **carbuccia** ،وقد كانت لثورة الزعاطشة نتائج كثيرة تمثلت أبرزها فيما يلي:

خسائر فادحة في الأرواح حيث خربت الواحة بأكملها وعن آخرها ،حيث أباد الجيش الفرنسي سكانها وقطع نخيلها، وقد استطاع الاحتلال الفرنسي أيضا أن يفرض نفسه بقوة الحديد والنار، وأن يسيطر على كامل منطقة الزيبان، وهو بذلك وضع قدمه على اول عتبة الصحراء لذلك تعتبر هذه المرحلة حاسمة في التوسع الاستعماري في الجزائر عامة وفي الصحراء الجزائرية على وجه الخصوص .

مقاومة الشيخ المقراني

الشيخ محمد المقراني، هو أحد قادة الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر في القرن التاسع عشر بعد الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830. ولد بمنطقة القبائل.

تعد مقاومة الشيخ المقراني من أقوى وأعنف الثورات الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، حيث شملت مناطق واسعة من التراب الجزائري ،خاصة المناطق الشرقية والوسطى ، فمع بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1830 بدأت تظهر حركات (مقاومات)شعبية لمواجهة الاستعمار، وكان الشيخ المقراني واحدا من أبرز القادة آنذاك ،تمثل دور المقراني في المقاومة في تولي قيادة المقاومة في منطقة القبائل، حيث قاد ثورة ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1871 ميلادي، استخدم من خلالها اسلوب حرب العصابات ما صعب على المستعمر قمع هذه الثورة.

وعلى الرغم من المقاومة الشديدة تم القبض على الشيخ المقراني في عام 1871 ،وأعدم لاحقا لكن إرثه في النضال ضد الاستعمار ظل حيا و أعتبر رمزا من رموز المقاومة الجزائرية .